الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف
ميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

سجنيات أبي فراس الحمداني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبات:
*- مريم بريبش
*- مفيدة حميمد
*- لامية مبربش

إشراف الأستاذ:
معاشو بووشمة

السنة الجامعية: **2017/2016**

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعاء

اللهم من اعتز بك فلن يذل ومن اهتدى بك فلن يضل

ومن استكثر بك فلن يقل ومن استقوى بك فلن يضعف

ومن استغنى بك فلن يفقر ومن استنصر بك فلن يخذل

ومن استعان بك فلن يغلب ومن توكل عليك فلن يخيب

ومن جعلك ملاذه فلن يضيع ومن اعتصم بك فقد هدي

إلى الصراط المستقيم.....

اللهم فكن لنا وليّاً ونصيرا وكن لنا مُعيناً ومجيرا

إنّك كنت بنا بصيراً.....

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا

أخفقنا بل ذكرنا دائما أن الإخفاق هو التجربة التي

تسبق النجاح.

شكر وعرفان

الحمد لله حمدا طيبا مباركا يليق بجلاله ووجهه الكريم وسلطانه العظيم وبعد اعترافا منّا لذوي الفضل بفضلهم ، ولأهل العلم بجهدهم وعملا بقوله تعالى :"هل جزاء الإحسان الا الإحسان ". (الرحمان – الاية 09) .

وقوله ايضا :"لئن شكرتم لأزيدنكم " .(ابراهيم الاية 59).

فإنه لايسعنا في هذا المقام إلاّ أن نتقدم بجزيل الشّكر وعظيم الإمتنان إلى كل مرب فاضل ،إلى كل من علّمنا حرفا ، إلى من أضاء لنا الطّريق بعلمه ونخصّ بالذّكر الأستاذ الفاضل "بووشمة معاشو " الذي أكرمنا الله بأن ننهل من معين علمه، والذي شرّفنا بقبول الإشراف على هذا العمل ، والذي لم يدّخر جهدا من بداية اختيار الموضوع إلى غاية إكماله على هذه الصورة ، ومسديا بالنصائح والإرشادات في سبيل إتمامه، سائلين الله عز وجل أن يجازى على ما قدّمه خيرا عظيما كما نتقدم بالشّكر الجزيل لكل أساتذة المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف وعلى رأسهم قسم اللغة والأدب العربي ،وجزى الله الجميع عنّا خير الجزاء ووفّقنا جميعا لما يحبّه ويرضاه ولله الحمد والشّكر أوّلا وأخير

مفيدة مريم لامية

إهداء

الحمد لله الذي أنعم عليّ بنعمة العقل والعافية فأتممت بمنّه ومعونته هذا البحث والصلاة على النبي الكريم، أهدي ثمرة تحصيل المشوار الدراسي إلى الوالدين العزيزين: أمي الغالية منبع الحنان ورمز الوفاء ووالدي الذي اضاء في قلبي مشاعل الأمل ، وإلى أختي فراح وزوجها عبد الحميد وأولادهما عبد الرحيم والكتكوتة "أنفال" وإلى سهام التي كانت نعم الاخت في دفعي قدما لتحصيل العلم وزوجها عبد الحكيم وأولادهما سيف الدين، محمد أمين والكتكوتة "أريج".

إلى فاطمة وخطيبها صالح الذي ساعدني في إنجاز هذا البحث وله جزيل الشكر

وإلى أختي حياة.

إلى النجمان المضيئان أخواي سامي وعلي اللذان دفعاني قدما لتحصيل العلم وإلى زوجة علي حسينة وأولادهما صهيب ، منار والكتكوت "أمين برهان".

إلى الصديقاتان اللتان شاركتاني في إنجاز هذا البحث وتقاسمتا معي حلو العمل ومره لامية ومفيدة والى صديقتي نسيبة.

إلى كل من جمعتني بهم صداقة الجامعة صبرية ،سارة ،خديجة ،صورية وأمينة

وإلى كل من في الذاكرة دون استثناء.

مريم

إهداء

الحمد لله الذي أنعم عليّ بنعمة العقل والعافية فأتممت بمنه ومعونته هذا البحث والصلاة والسلام على النبي الكريم، اهدي ثمرة تحصيلي المشوار الدراسي إلى الوالدين العزيزين :أمي الغالية التي كانت القدوة التي سرت عليها في مشواري وأبي العزيز الذي أضاء في قلبي مشاعل الأمل الغالي .

إلى اخواتي نصيرة وزوجها عصام وأولادهما روان والكتكوت عبدالحي وإلى أخي كريم وزوجته ليلى اللذان قدما لي الدعم في إتمام هذا المشوار، إلى أخي سمير وأختي فاطمة التي ساعدتني كثيرا ،إلى أخي الغالي توفيق، إلى جدي وجدتي الغاليين.

إلى الصديقتان اللتان شاركتاني في إنجاز هذا البحث وتقاسمتا معي حلو العمل ومره لامية ومريم .

وإلى صديقاتي العزيزات ابتسام التي دعمتني كثيرا وإلى عائشة ، ريمة ، سميرة ، نسيبة والغالية إيمان ،هاجر و سارة.

مفيدة

إهداء

الحمد لله الذي أنعم عليّ بنعمة العقل والعافية وأتممت بمنه ومعونته هذا البحث والصلاة على النبي الكريم، أهدي ثمرة تحصيل المشوار الدراسي إلى الوالدين الكريمين :لأمي الحبيبة والغالية منبع الحب والحنان ووالدي العزيز الذي أضاء في قلبي مشاعل الأمل أطال الله في عمره ،إلى أخواتي كريمة ، شهيناز ونبيلة إلى أختي الصغيرة ندى التي أتمنى لها النجاح في شهادة التعليم المتوسط ، وإلى أخي محمد ورضا وزوجته دنيا.

ولا أنسى كذلك الصديقاتان اللتان شاركتاني في إنجاز هذا البحث مريم ومفيدة وصديقتي نسيبة .

إلى من جمعتني بهم صحبة الجامعة حنان ، مسعودة ،حليمة وايمان .

لامية

مقدمة

مقدمة

الإبداع يولد من رحم المعاناة ، وتثور المعاني داخل الأديب عند اللحظات المؤثرة فتجيش خواطره ويسير فكره وقلمه ، ومن عاش في المحبس فهو ذائق ذالك لا محالة والكتابة هي ممارسة للحرية ولو من خلف القضبان.

ولعل من أعظم لحظات المرء ، ساعة يحبس فيها في سبيل الله ، يعذب في تجرع جناب مولاه، يتجرع الآلام لنصرة دينه .

فذلك الأدب الذي يكتب داخل السجون وخلف القضبان نستطيع القول بأنه أدب يتطلع للحرية فأدب السّجون من أصدق أنواع الكتابة .سواء كان على مستوى الشعر أو على مستوى النثر .

وأدب السّجون لم يكتب في الصالونات المكيفة ، أو في الحياة المرفهة أو بين الورود و البساتين التي تصدح في سماءها الطيور المغردة ، بل هو على العكس تماما أدب كتب في أجواء يسودها الألم و الأمل في آن واحد، وفي ظل المعاناة و الصبر و التأمل داخل محرقة العدو بين الجدران ومن خلف القضبان ، وأدب السجون يختلف عن الأدب في حالاته العادية وما نراه في الأدب الذي يكتب داخل السجن من إشراقات جمالية تضفي حياة روحية متوقدة ،إلا أن الألم و المعاناة مصدر للإبداع و العطاء حيث تتفجر الطاقات الإبداعية من خلال ممارسات القمع اليومية للسّجان ، فهي التي تهم في تشكل ذلك الإبداع فيكون أقوى تأثيرا في النفوس .

يرجع ذلك إلى أصدق التجارب كونه ينهل من مصدر المعاناة و كونه أدب عميق في الدلالة و المضمون، وأدب السجون أدب قوي فيه سمة التحدي و بالرغم من غلبة الحزن على المقطوعات الأدبية باختلاف موضوعاتها يسعى إلى التعبير عن تلك الجراح والآهات و الدموع ، ويتحدى كل الصعاب وفي أدب السجون ما ليس بغيره من مصداقية ومعاني إنسانية ، أنه يحمل مضامين تعبيرية و بلاغة إبداعية.

ونجد الكثير من الشعراء من عاش تجربة السجن واتخذوا منها تشخيصا لآمالهم وآلامهم ونذكر على سبيل المثال المعتمد بن العباد وأبو فراس الحمداني وغيرهم كثـــر

الذين ذاقوا الذل بعد العز و المعاناة من الضيق بعد السعة ، ونخص بالذكر أبو فراس الحمداني الذي كان يعيش قبل الأسر حياة تختلف كل الاختلاف عن تلك الحياة التي تعرض لها داخل السجن ، فلقد تربى أبو فراس على الشعر و الفروسية معا في بلاط سيف الدولة وهدا يدل على الحياة التي كان يعيشها ،وكان سيف الدولة يعتمد عليه كثيرا ويصطحبه معه في غزواته فنشأ عليما بأمور القتال فالملاحظ أن أبي فراس كان من بين من أسهموا في نبوغ وبروز الدولة الحمادية ، وكان شاعرا يبدي ولاءه للشعر لأنه لم يلق صعوبات في حياته قبل أن يقع في يد الروم حيث اختلفت الحياة عليه آن ذاك فقد تعرض من خلال فترة أسره إلى العديد من المواقف .

ونجد أنّ السجن قد أثر فيه على نحو ملحوظ ، فظهرت موضوعات تناسب المحنة وتعبر عن عمق المعاناة من جهة ، وتبين اُثر السجن في تميّز الشاعر وذالك على مستوى الموضوعات وعلى المستوى الفني من جهة أخرى ،فأبو فراس كان يتناول موضوعاته تحت تأثير عاطفتي الثورة والحزن .

ولعل السبب الذي دفعنا إلى اختيارنا لهذا الموضوع ، هو حب الإطلاع على المعاناة و المحن التي يعيشها ويعانيها السجناء، بالإضافة إلى الرغبة والتعمق في هذا الموضوع أما الإشكالية التي نودّ طرحها من خلال اختيارنا لهذا الموضوع هي : هل يذيع السجن إلى الإبداع الأدبي وما دوره و تأثيره؟

وينبثق من هذه الإشكالية جملة من التساؤلات يمكن حصرها كالأتي : ماذا نقصد بالسجنيات؟ وكيف كان شعر السجن في الأدب العربي القديم ؟ وما هي أهم الموضوعات التي تطرق إليها أبو فراس الحمداني خلال فترة سجنه؟

وهذه التساؤلات يمكن الإجابة عنها من خلال بحثنا الذي اقتضت منهجيته أن تكون وفق خطة ارتأينا هندستها على النحو التالي مقدمة ثم قمنا بتقسيم البحث إلى فصلين وخاتمة

تضمن الفصل الأول مفهوم وتطور السجنيات بينما الفصل الثاني ، فتضمن تجليات شعر السجن عند أبي فراس الحمداني لننهي بحثنا بخاتمة كانت حوصلة لأهم ما توصلنا إليه من نتائج عن شعر السجون ، أما المنهج الذي اعتمدناه في بحثنا هذا هو المنهج

الوصفي التحليلي ، وقد اعتمدنا على مصادر ومراجع أهمها : ديوان أبي فراس الحمداني و لسان العرب لابن منظور و بدوي طبانة فنون الشعر عند الحمدانيين.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نشكر كل من ساعدنا في إتمام هدا البحث من قريب أو بعيد لعل أولهم أستاذنا المشرف معاشو بووشمة الذي كان له الفضل وذلك بإسداء الإرشادات

وفي الأخير نأمل أن نكون قد أفدناكم ونتمنى من المقبلين على دراسة هذا الموضوع أن ينجزوه وأن يأتوا بالجديد .

فإن أخطأنا فمنا وإن أصبنا فمن الله التوفيق .

الفصل الأول:

مفهوم وتطور السجنيات

المبحث الأول: الدلالة اللغوية للفظة السجن

1.تعريف السجنيات: الأسر، الحبس، السجن

السجن هو الحبس والسجن يفتح المصدر سجنه سجنا أي حبسه، فمن كسر السين فهو المحبس وهو اسم، ومن فتح السين فهو مصدر سجنه، وفي الحديث " ما شيء أحق بطول سجن من لسان" [1] و"السجان" صاحب السجن، ورجل سجين مسجون، والجمع سجناء وسجني، قوله تعالى: قَالَ ٱللَّهُ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ [سورة المطففين الآية 7].[2] وهو على وزن فعيل من السجن.

أما لفظة حبس فهي من حبس يحبسه حبسا فهو محبوس وحبس والحبس ضد التخلية والمحبس على قياسهم الموضع الذي يحبس فيه، ويكون سجنا والمحبس هو المصدر [3] بمعنى أن فلان محبوس أي أنه في السجن ولا مفر من ذلك وهو المكان الذي يحبسون فيه.

أما لفظة الأسر فيقال أسرت الرجل أسرا وأسارا فهو أسير ومأسور والجمع أسرى وأسارى وتقول استأسر أي كن أسيرا لي.[4]

والأسير: الأخيد واصله من ذلك، وكل محبوس في قيد أو سجن هو أسير وقوله تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [سورة الإنسان الآية 8.] وليس الأمر بعاهة فيجعل أسرى من باب جرحى في المعنى، ولكنه لما أصيب بالأسر صار كالجريح اللذيع، فكسر على فعلى كما كسر الجريح ونحوه، ويقال الأسير من العدو: أسير لأن آخذه سيتوثق منه بالأسار وهو القيد.[5]

---

[1]– لسان العرب– ابن منظور– بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، المجلد 13 مادة سجن – ص 203.

[2]– القرآن الكريم– دمشق: مكتبة ومطبعة النشر نجي 1416– الطبعة الأولى– رواية حفص– سورة المطففين– الآية7.

[3]– لسان العرب– مادة حبس، مج 13، ص 204.

[4]– المصدر نفسه – مج4– مادة أسر ص 19.

[5]– سورة الإنسان، الآية 8.

فهنا نرى بأن الأسير بمقام الجريح الذي يتألم ويحس بجرحه داخل نفسه وموضع جرحه فهما سواسية.

2.لمحة تاريخية عن تطور مفهوم السجن:

لقد ورد الحديث عن السجن في القرآن الكريم، إذ ذكر الله في كتابه العزيز أن فرعون مصر قد هدد موسى عليه السلام بالسجن إن آمن بالله ربا وكفر بألوهية فرعون إذ قال تعالى: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الشعراء الآية 29.] [1]

نزلت هذه الآية ردا على فرعون لتهديده لموسى عليه السلام كما ورد الحديث في القرآن الكريم عن سجن يوسف عليه السلام وكيف راودته زوجة العزيز عن نفسه ثم اتهمته بالخيانة إذ قال تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة يوسف الآية 25.] [2]

ففضل يوسف السجن على السقوط في هذه الفاحشة، فدعا ربه بذلك، ثم سجن رغم ظهور البينات الدالة على براءته يقول تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة يوسف الآية 33.] [3]

وذكر أنه دخل السجن ولبث فيه بضع سنين، ودخل مع " يوسف" شخصان آخران لا علاقة لهما بالقضية إذ قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة يوسف الآية 36.] [4] فهنا يوسف عليه السلام فضل السجن على البقاء مع زوجة العزيز.

---

[1]– القرآن الكريم– دمشق: مكتبة ومطبعة الشرنجي 1416 – ط1– رواية حفص – سورة الشعراء– الآية 29.

[2]– المصدر نفسه – سورة يوسف الآية 25.

[3]– المصدر نفسه – الآية 33.

[4]– المصدر نفسه – الآية 36.

ولقد كان يوسف " عليه السلام" في سجنه ويدعو السجناء إلى توحيد الله، إذ قال تعالى على لسان يوسف: قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ ﴾ [سورة يوسف الآية 39.] [1] إذ كان السجين يوضع في مكان ضيق مظلم مقيد بالسلال، ونذكر على سبيل المثال أبا يعقوب البويطي الذي مات في السجن مقيدا إلى أنصاف ساقيه مغلولة يداه إلى عنقه وتتجسد لنا صورة السجن في قول الشاعر جعفر بن عبلة الحارثي إذ قال:

وَجَرَاسُ سُوْمَا يَنَامُونَ حَوْلَهُ فَكَيْفَ لِمَظْلُومِ بِحِيلَةُ مُحتَالِ

وَيَمِرُّ فِيهِ ذُو الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى عَلَى الذُّلِّ لِلْمَأْمُورِ وَالعُلْجِ وَالوَالِي.[2]

كان السجن مكانا للحكم على السجين بعقوبات بدنية ونفسية على ما ارتكبه من الخطأ أو ما اتهم به ظلما، إلا أن صورة السجن في العصر الإسلامي اختلفت عما كان عليه العصر الجاهلي والأموي والعباسي، إذ عرف الإسلام السجن بمعنى منع الحرية في سورة السجن، وذلك بقصد إعاقة السجين ومنعه من التصرف بإرادته، ولم يخصص مكان معين للسجن في عهد كل من الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر إذ كان لا يتعدى منع المتهم من الاختلاط بغيره وذلك بوضعه في بيت أو مسجد [3] ويتضح هذا في قول ابن القيم الجوزية: " الحبس الشرعي ليس هو الحبس في مكان ضيق، وإنما هو تعريف الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء أكان في بيت أو مسجد أو كان يتوكل عليه وملازمته له." [4] يعني أن الحبس ليس سوى مكان ضيق وإنما هو معرفة الشخص ومراقبته وضع التصرف بنفسه.

---

[1]– القرآن الكريم – دمشق– مكتبة ومطبعة الشرنجي، 1416 – الطبعة الأولى – رواية حفص – سورة يوسف الآية 39.

[2]– أبي الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج1، دار الفكر، مكتبة الحياة، بيروت، 1956، ص 282.

[3]– السجون مزاياها وعيوبها من وجهة نظر الإصلاحية، أبحاث الندوة العلمية الأولى، ط 2، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، 1984، ص 101–102.

[4]– وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج6، دمشق، دار الفكر، 1984، ص 509.

وليس معنى الأسر في الإسلام أن يوثق الأسير بوثاق وإنما هو الأسير المراقبة والملازمة، إذ يمنع من التصرف بنفسه سواء كان في بيت أو مسجد بتوكيل الخصم أو كيله عليه وملازمته له.

وعلى الرغم من أن عصر الرسول عليه الصلاة والسلام وخليفته أبي بكر الصديق ارتد فيه كثير من العرب عن دينهم، إلا أنهما لم يتخذا مكانا مخصصا للسجن باعتبار أن السجن ليس عقوبة أساسية في التشريع الإسلامي، إذ يوصف ذلك العهد بأنه مجتمع بلا سجون [1] وفي عهد عمر بن الخطاب تم تخصيص مكان لحبس الجناة والمتهمين في أمور الإسلام، إذ اشتر عمر بن الخطاب من صفوان بن آمية دار بمكة بأربعة آلاف درهم وجعلها حبسا.

ويروى أن عمر ابن الخطاب " سجن الشاعر الحطية بسبب هجائه مبيغا التميمي عن سؤاله عن الذكريات والمرسلات والنازعات" [2] وفي عهد عثمان بن عفان سجن الخليفة منابي بن الحارث حتى مات في السجن كما يروي أن الإمام على بن أبي طالب " قد بنى سجنا في الكوفة، واتخذ سجنين سما أحدهما _ نافعا_ ولم يكن حمينا" [3] والآخر _ مخيسا_ ثم تعددت السجون بعد ذلك في خلافة علي ومعاوية وكان الإمام علي من لفت الأنظار في الإسلام إلى وجوب العناية بالمسجونين، تولت هذه العناية بعد ذلك من جانب غيرهم من الخلفاء التابعين إذ أجرى الإمام علي الطعام والكساء على سجناء العراق ومعاوية بن أبي سفيان على سجناء الشام [4] نجد هنا الإمام علي يبين لنا أسماء السجون التي بنيت.

ولم تعرف السجون : لوائح وتوصيات بشأن نظام السجناء إلا في عهد عمر بن عبد العزيز" [5] ثم جاء بعده أبو يوسف أبي حنيفة فوضع للخليفة هارون الرشيد نظاما مفضلا وأوصاه بتطبيقه".[1]

---

[1]– السجون مزاياها وعيوبها، أبحاث الندوة العلمية، ط 2، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب 1984، ص 102.

[2]– المرجع نفسه، ص 27.

[3]– المرجع نفسه، ص 27.

[4]– المرجع نفسه، ص 110.

[5]– المرجع نفسه، ص 28.

وهذا تبين لنا جليا أن الإسلام سبق في وضع أنظمة للسجناء حسب الشريعة الإسلامية، واهتم بالجانب الإنساني للسجين.

3.شعر السجون في الأدب العربي القديم:

تحفظ لنا كتب التاريخ والأدب ومقطوعات لشعراء ذاقوا مرارة السجون، وهو شعر يعكس في معظم مراحل التاريخ العربي الوجه القاتم لسلطة بعض الخلفاء ولأمراء، وأكثر ما يطلعنا عليه الأدب العربي القديم في هذا المجال هي نصوص شعرية وقد تكون سهولة حفظه وروايته من أسباب ذلك.

وأول نصوص وصلت إلينا من أدب السجون، قصائد شعرية للشاعر الجاهلي عدي بن زايد العبادي [2] فمن شعره الذي نظمه في السجن، قصيدة شكوى يرفعها للنعمان مبرئا لنفسه من تهم الوشاة ومؤكد إخلاصه للملك، ويقول فيها:

أَلاَ مِنْ مَبْلَغِ النُّعمَانِ عَنِّي ... وَقَدْ تَهْوَى النَّصِيحَةَ بِالمَغِيبِ

أَحْظَى كَانَ مُشْكِلَةَ وَقَيْدَا ... وَغَلاَ وَالبَيَان لَدَى الطَّبِيب

أَتِلْكَ بِأَنَّنِي قَدْ طَالَ حَسْبِي ... وَلَمْ تَسْأَمْ بِمَسْجُونِ حَرِي_ب

وَبَيْتِي مَقْفَرُ الأَحْيَاءِ فِيهِ ... أَرَامِلُ قَدْ هَلَكْنَ مِنْ نَحِي_ب

فَإِنَّ أُظْلِمْ فَقَد عَاقَبْتُمُونِي ... وَأَنْ أُظْلَمْ فَذَلِكَ مِنْ نَصِيب_ي. [3]

---

[1]– السجون مزاياها وعيوبها، أبحاث الندوة العلمية، ط2، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب 1984، ص 107.

[2]– الشاعر الجاهلي عدي بن زايد العبادي تولى المناصب الرفيعة في بلاط الأكاسرة ثم المناذرة، استوزره الملك النعمان، ثم اعتقله وسجنه ثم قتله، توفي سنة 590م– حصاد السجن/ رئيف خوري– المقدم أحمد الصافي النجفي– بيروت: دار العلم الملايين، 1961– ط2– ص 14.

[3]– المرجع نفسه، ص 14.

ولقد طغت المرارة على شعره في السجن، فبدأ حزينا مسكينا، تمكن منه الحزن وسيطر عليه الاستسلام.

وفي صدر الإسلام سجن عمر الخليفة عمر بن الخطاب الشاعر الحطيئة تأديبا له على هجائه الناس.

وفي عهد خلافة عثمان بن عفان سجن الخليفة الشاعر ضابئى بن الحارث البرمجي وبقي في السجن حتى مات، وشعره الذي نظمه في السجن عبارة عن نفحة حنين ومشاعر متأسية تجسد مرارة الوحدة والغربة يقول فيها: [1]

من يك أمس بالمدينة رحل....ه فإني وقيا ربها الغري_ب

وما عجلات الطير تدني من الفتى رشادا ولا عن ريئهن يخيب.

ومن شعراء العصر العباسي الذين ذاقوا مرارة السجن، فلم يزدهر الحبس إلا عنادا وتصلبا نذكر الشاعر علي بن الجهم البغدادي اتصل بالخليفة المتوكل، ثم نفر منه فحبسه [2] وفي سجنه قال شعرا يفور تحديا وتصلبا، إذ يصور نفسه فيه سيفا لا يغمد وليثا يربض بعرينه، والسجن في نظرة ليس شرا كله، بل فيه خيرا لا يغرفه إلا من ابتلى به، والبدر لا يتجدد إلا أنه يختفي، لذا فالسجن عنده مدعاة فخر لمن لم يقترف الدنايا، وبيت يزار فيه نازله ولا يزور.

ومع هذه الأمثلة كلها لم يستمر شاعر عربي في مجال السجن والنفي، ونظم فيهما شعرا كشهرة أبي فراس الحمداني، فديوانه زاخر بيومياته التي بث فيها معاناة الأسر والسجن وشعوره الحاد بالغربة والوحدة.

وما يلحظه القارىء أن أبي فراس كان لا يتعنى لقاء كل من لا يحبه ولا يرى فيه الإنس والسعادة ولا تطيب له الدنيا إذا ابتعد عنه... كما يدعو أن يبقى له مولاه الذي تجدد في عهده الأيام، ويعيش الناس في ظله حياة سعيدة.

---

[1]– الوطن في الشعر العربي/ة هيب طنوس، مديرية الكتب والمطبوعات، السنة 1979، ص 27.

[2]– كتاب الأغاني، ج 18/17، أبي الفرج الأصفهاني، دار الفكر، مكتبة الحياة، بيروت، 1956، ص 215– 218.

وكذلك كان يحاول تخفيف المصيبة عن أي شخص وقع فيها ، وكان يحاول جاهدا أن يعينه ويقويه ليتجاوز ويطلب من الإنسان الصبر على هذه الشدة فيقول:

يامرزا أبَاتَ يَبْكِي لَا مُعِينِ لَهُ أَعَانَكَ الله بِالتَّسْلِيم وَالجَلَدِ [1]

كذلك كان يدعوا الله ألا يحرمه ممن يحب، ومن الصديق والقريب لأنه يجد فيهم كلهم المراد والملجأ والحظ والمعين للآمال التي يعلقها.

فَلاَ يَحْرِمْنِي الله رُؤيَاكَ إِنَّهَا نِهَايَة آمَالِي وَغَايَةُ مَقْصَدِي

وَلَا يَحْرِمْنِي الله قُرْبَكَ إِنَّهُ مُرَادِي مِنْ الدُنْيَا وَحَظي وسُؤْدَدِي[2].

ويدعوا الله أن يكرم سيف الدولة وأن ينجيه من الأعداء ويزيد من نعمته، لأن له فضل عليه منذ كان صغيرا اعتنى به ونشأه هذه التنشئة التي جعلته فارسا عظيما.

فَأَبْقَاهُ الإِلَهُ لَنَا طَوِيلاَ وَزَادَ الله نِعْمَتَهُ دَوْمَا.[3]

فكأنك بمحبة أبي فراس لكل من حوله لأنه يحبه مادامت على الأرض حيـــاة ومادامت الحياة في الأرض زرعا ونباتا وطيورا إنسانا.

إن كرم الله على الإنسان عميم ووافر يرسله لكل من بطليه ويريده وهو الكريم وعلى الإنسان ألا يظن نفسه أنه يصل إلى مراتب الدنيا ومنازلها العالية من دون جهد وتعب، فيخاطبه قائلا:

ترى لنفسك أمرا وما يرى الله أفضل.[4]

إذ أيها الإنسان لا تعرف ما يفيدك، ولا تقدر ما الذي ينفعك، بل الله هو الذي يرى لك أمر الحسن، والله دائما يرى الخير للإنسان، ولكنه بالمقابل يحذر هذا الإنسان فيقول:

---

[1]– أبي فراس الحمداني، شوقي المعري، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب سنة 2013م، د ط، ص 39.

[2]– المصدر نفسه، ص 39.

[3]– المصدر نفسه، ص 40.

[4]– المصدر نفسه.

لا يفتح الله باب مكرمة صاحبها المستغاث يقفلها. [1]

أي إنه يطلب من الإنسان أن يرتدع، ويسمح لكلام الله أن يدخل قلبه، ويتأمل فيها يقول له، لأن الله يريد له الخير لكن بعض الناس يأبون هذا ظنا منهم أنهم الأحسن وأنهم الأحسن وأنهم اللذين يعرفون كل شيء.

إن كل ما تقدم وما قرأناه في شعر أبي فراس الحمداني ترى فيه أو تشعر بمنحه من الخالق القويم الذي يمنحه الله تعالى للإنسان.

إن شاعرنا أبي فراس كان مؤمنا بالله يرجوه، يدعوه، يناديه، يخاطبه، يأمل منه أن يعينه على تجاوز المشقات والمصاعب والآلام، ورأى فيه القادر على كل شيء، والناصر له والرحيم و الرؤوف والمعين والملجأ والنصير، ولم يكن الشاعر يقول هذا عن إيمان صادق، وإذا تجاوزنا كل الأبيات التي ذكر فيها اسم الله وصفاته فإننا نلقى عددا من الأبيات نشعر أن الشاعر أراد منها التأكيد على إيمانه ومواقفه، يخاطب فيها الإنسان وهو إنسان، يريد أن يقول إنني أنا هذا الإنسان الذي يرجو من الله ما يرجوه.

يقول:

وَمَنْ لاَ يُوَقَّ الله فَهُوَ مُمَزَّقُ وَمَنْ لَمْ يَعَزَّ الله فَهُوَ ذَلِيلُ

إِذَا مَاتَ مَا وَقَاكَ الله أَمْرًا تَخَافُهُ فَمَالَكَ مِمَّا تَتَّقِيهِ مُقِيلُ

وإِنْ هُوَ لَمْ يُرْشِدْكَ فِي كُلِّ مَسْلَكٍ ضَلَلْتَ وَلَوْ أَنَّ السَّمَاكَ دَلِيلُ. [2]

إذا هو يريد من الإنسان أن يتقي الله، أي أن يكون مؤمنا وأن يعتز لأن الله عزيز وإلا ذل، ويرى أن الله هو المعين على أي شيء تريده، ولا تستطيع أي إنسان أن يحقق لك السبيل والمرتجى، وهو النصير إذا لم تجد من ينصرك حتى إن القوي الجبار يعجز أمام نصر الله العظيم، وعليك أن تستدل إلى الله لأنه الطريق القويم الصحيح الذي يدل الضائع التائه، ولو كانت نجوم السماء كلها دليلا.

[1]– أبي فراس الحمداني، شوقي المعري، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب سنة 2013م، د ط، ص 41.

[2]– المصدر نفسه، ص 42.

أسر الروم أبا فراس حين كان عائدا من الصيد مع حاشيته، فنقل إلى خرشنة ثم إلى القسطنطينية، وتباطأ سيف الدولة في افتدائه، فشق ذلك عليه، فأخذ يبعث إليه قصائد استعطاف ويستحدث والدته على الصبر.

والشاعر عندما يخلو إلى نفسه بين جدران سجنه يتأمل حاله ومآله يقول شعرا رقيقا يأسر النفوس، ولعلا أحسن مثال على ذلك مقطوعة من قصيدة مخاطبة الحمامة:

أقول وقد ناحت بقربي حمام...ة أيا جارتا هل تشعرين بحالي؟

أيا جارتا ما أنصف الدهر بينن..ا تعالي أقاسمك الهموم تعالي

أيضحك مأسور وتبكي طليق...ة ويسكت محزون، ويندب سالي

لقد كانت أولى منك بالدمع مقل..ة ولكن دمعي في حوادث غال.[1]

عندما يكون الشاعر داخل السجن ويبقى يتأمل نجد أنه يكتب شعرا يطغى على النفوس.

[1]– ديوان أبي فراس الحمداني/ فؤاد البستاني، بيروت: دار المشرق، د.ت، ص 221– 222.

الفصل الثاني:

تجليات شعر السجن عند أبي فراس الحمداني

المبحث الأول: موضوعات شعر السجون عند ابي فراس الحمداني

1.شعر السجن عند أبي فراس الحمداني:

موضوعات شعر السجن عند أبي فراس الحمداني شعر السجن عند أبي فراس الحمداني، وهو ما اصطلح على تسميته بالروميات التي تعتبر لباب شعره، وصفوة إنتاجه، وهي القصائد والمقطوعات التي نضمها أبو فراس، وهي أسير في بلاد الروم يقاسي مرارة القيد، ومرارة البعد عن الأحباب والأصدقاء، ويتحمل ألوان العذاب في جسمه، وفي نفسه مدة أربع من السنين، إن لم نقل أكثر.[1]

كانت روميات الشاعر الأسير، مرآة تعكس جوانب مخفية من مختلف جوانبها كما تعكس عواطف الشاعر، وما يتنازع في قلبه من عواطف شتى، وتيارات متصارعة، وقد نجح الشاعر في نقل عواطفه إلينا بصدق وأمانة، يندر وجودها في شعر غيره من الشعراء، بل في شعره هو قبل الأسر.

وبالنظر في موضوعات شعر أبي فراس في الأسر نجد تنوعا فيها، فهي تشمل موضوعات الشكوى، والحنين، والفخر، والعتاب، والمدح، والهجاء، والاستعطاف والرثاء، والتعزية والتأمل وإظهار التصبر والجلد، ولكن الشاعر لم يعالج هذه الموضوعات بطريقة واحدة ولم يطرقها بالمستوى نفسه، وإنما كان الشاعر يطرق الموضوع على قدر الحاجة ويعالجه بحسب طبيعته، فمثلا نجد في شعر أبي فراس العتاب فلقد كانت الرهبة والرغبة تدفعان به إلى العتاب: الرغبة في الخلاص من الأسر والرهبة من سيف الدولة لحاجته إليه، ونتيجة لذلك لم يكن عتاب أبي فراس لابن عمه ذا نبرة خطابية واحدة، فقد تراوح بين اللين والشدة وبين التصريح والتلميح والرمز...

أرسل أبو فراس إلى إبن عمه قصيدة يعاتبه فيها وقد ابتدأ قصيدته بالمدح، إذ قال:

---

[1]– أبو حاقة، أحمد أبو فراس الحمداني– ط1– بيروت: دار الشرق الجديد– 1960– الشكة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص 166.

أسيف العدا وقريع العرب علام الجفاء وفيهم الغضب؟

وأنت الكريم وأنت الحليم وأنت العطوف وأنه الحدب

وما زلت سيبقني بالجميل وتنزلني بالجناب الخضب

وتدفع عن حوزتي الحطوب وتكشف عن ناظري الكرب

وإنك للجيل المشمحر لي بل لقومك بل للعرب [1]

هكذا يبدأ الشاعر قصيدته بمدح سيف الدولة واصفا إياه بالكرم، والحلم والسيادة والعطف والحنان، كما يذكر الشاعر فضل سيف الدولة عليه ثم يأخذ الشاعر في عتاب إبن عمه قائلا:

وما غضب مني هذا الأسار ولكن خلصت خلوص الذهب

ففيم يعرضني بالحمو ل مولى به نلت أعلى الرتب

اشكر إني شكوت الزمان وأني عتبتك فيمن عتب

فهلا رجعت فأعتبتني وصيرت لي ولقومي الغلب.[2]

وهكذا بدأ أبو فراس عتابه بالقول بأن الأسر لم يسبب له جزعا بل زاده عزيمة ويقينا، وينكر على ابن عمه نسبته إلى الخمول، ثم يدافع عن موقفه، فهو غير مذنب إن كان قد عتب على سيف الدولة كباقي الأسرى، ولماذا تقريعه هو وحده.

ثم يمضي الشاعر في الفخر بنسبه على نحو بديع، إذ أن نسب الشاعر نسب لسيف الدولة ولا شك أن مثل هذا الفخر، لا يعترض عليه سيف الدولة، وربما حمل هذا الفخر تحديرا لسيف الدولة من الاستهانة بأبي فراس، فعليه ألا يسمى أنه إبن عمه، فيقول:

[1]– ديوان ابي فراس: ص 24، شرح الدكتور خليل الدويهي.

[2]– المصدر نفسه، ص 25–24.

وإن خرسان إن أنكرت علاي فقد عرفتها حلب

ومن أين ينكرني الأبعدون أمن نقص جد أمن نقص أب؟

ألست وإياك من أسرة وبيني وبينك قرب النسب

ودار تناسب فيها الكرام وتربية ومحل أشب.[1]

ومن ألوان عتاب أبي فراس لابن عمه، ما قاله في قصيدة مطلعها:

أما لجميل عندكن ثواب ولا يمسيء عندكن متاب؟[2]

ففي شعر أبي فراس لون من النصح فهو يظهر لنا في بعض قصائد كالناصح الأمين لابن عمه الأمير إذ يقول:

بني عمنا، ما يصنع السيف في الوغى إذا فل منه مضرب وذباب؟

بني عمنا، لا تنكروا الود إننا شداد على غير الهوان صلاب

بني عمنا، نحن السواعد والظبا ويوشك يوما أن يكون ضراب[3]

فهو ينصح إبن عمه الأمير بالمسارعة في فدائه، هو يعتبر وجوده لازم للدفاع عن الإمارة الحمدانية، وبخاصة أن الحرب سجال بينها وبين الروم.

إلا أن أبي فراس الحمداني، وبخاصة يعلن ولاءه لسيف الدولة مشجعا إياه على الفداء ويظهر ذلك في قوله:

فلا تعدلن فداك ابن عم ك لا بل غلامك كما يجب

وأنصف فتاك فإنصافه من الفضل والشرف المكتسب

---

[1]– ديوان ابي فراس: ص 24، شرح الدكتور خليل الدويهي.

[2]– المصدر نفسه، ص 45.

[3]– المصدر نفسه – ص 47.

وكنت الحبيب وكنت القريب ليالي أدعوك من عن كثب

فلما بعد بعدت بدت جفوة ولاح من الأمر ما لا أحب

فلو لم أكن بك ذا خبرة لقلت: صديقك من لم يغب [1]

فالشاعر هنا يصور لنا نفسه وفيا وذلك بإعلانه لولائه لسيف الدولة ولا شك أيضا أن أبي فراس يعاتب سيف الدولة إلا أنه يمدحه تارة ويعاتبه تارة أخرى فهو يصور لنا ابن عمه عل أنه ناكر للجميل فهو لم يسارع بمساعدته وتحريره من السجن.

ومن عادة أبي فراس الحمداني أن يمهد لعتابه، وذلك بوصف معاناته مستعطفا سيف الدولة ومن ذلك قوله:

هل تعطفان على العليل؟ لا بالأسير ولا القبيل

باتت تقلبه الأكف... وسحابة الليل الطويل

يرعى النجوم السائرا ت من الطلوع إلى الأفول

واستوحشت لفراقه يوم الوغى سرب الجبول

وتحطت سمر الرما ح، وأغمضت بيض النضول.[2]

إن التأمل في صورة هذا الأسير المريض، لا هو بالحي ولا بالميت، عاجز عن الحركة والتنقل تقلبه أيدي الناس لضعفه ومرضه تورقه الآلام والهموم، فيرى ليلا طويلا ثقيلا لذا فهو يطلب من العطف عليه، والمسارعة إلى فدائه حتى لا نعدم صفاته الحسنة وبطولاته الحربية، وما دام الشاعر قد خلع على نفسه هذه الصفات العظيمة فإنه يفوته أن يظهر بعدها الإباء وعزة النفس، لذا فهو يتوجه إلى الله وحده بالدعاء ويقول:

يا فارج الكرب العظي م وكاشف الخطب الجليل

[1]– ديوان ابي فراس: شرح الدكتور خليل الدويهي،ص 26.

[2]– المصدر نفسه، ص273.

كن يا قوي لذا الضعي ف ويا العزيز لذا الذليل[1]

ويرسم أبو فراس في قصيدته صورة حزينة لامة، والتي غلب عليها الحزن بعد أسر ابنها وازداد ذلك الحزن بعد خذلان الأمير لها فيقول:

عليلة بالشام مفردة بات بأيدي العدام بعللها

تمسك أحشاءها على حرق تطفئها، والهموم تشعلها

إذا اطمأنت وأين أو هدأت عنت لها ذكرة تقلقلها

تسأل عنا الركبان جاهدة بأدمح ما تكاد تمهلها

يا من رأى لي بحصن خرشنة أسد شرف في القيود أرجلها

يا من رأى الدروب شامخة دون لقاء الحبيب أطولها

يا من رأى لي القيود موثقة على حبيب الفؤاد أنقلها[2]

في هذه الأبيات تصوير دقيق لحالة الأم المريضة البائسة الوحيدة التي باتت فريسة الأوهام والهموم تنكمش بأذيال الآمال الواهية لتسطلح الأخبار عن ولدها الأسير وحسها الموثق[3]، ويرتبط بالعتاب، الاستعطاف والمديح، وعلى الرغم من أن أبا فراس قد ضمن قصائده العتابية، أبياتا فيها المديح تارة، وفيها الاستعطاف تارة، إلا أننا نجده في قصائد أخرى، يركز على الاستعطاف، ويبدو أن الروح المعنوية للشاعر وتذبذبها، دفعته إلى الاستعطاف، ومن أبرز تلك القصائد، قصيدة أرسلها إلى سيف الدولة، يقول في مطلعها:

دعوتك للجفن القريح المسهد لدي وللنوم القليل المشرد[4]

فهنا يقوم الشاعر المسوغات التي دفعته إلى استعطاف سيف الدولة بتعجيل الفداء، مبينا ما يعاني منه من آلام الأسير، فيقول:

---

[1]– ديوان ابي فراس: شرح الدكتور خليل الدويهي، ص 273.

[2]– المصدر نفسه، ص 263.

[3]– غريب – جورج: أبو فراس الحمداني دراسة في الشعر والتاريخ – ص 31– ط2– بيروت– دار الثقافة 1971.

[4]– ديوان أبي فراس– ص 96 شرح خليل الدويهي.

وما ذاك بخلا في الحياة وإنها لأول مبذول بأول وجتد

وما الأسر مما ضقت ذرعا بحمله وما الخطب مما أن أقول له: ق

ولست أبالي إن ظفرت بمطلب يكون رخيصا، أو بوسع مزود

ولكنني أختار موت بني أبي على صهوات الخيل، غير موسد

وتأبى وآبى أن أموت موسدا بأيدي النصارى، موت أحمد أكبد

وهكذا، يظهر أن أبا فراس غير خائف من الأسر، وإنما يخاف من الموت في ديار الغربة، بعيدا عن أهله ووطنه، ثم يعرض الشاعر معاناته ومعاناة غيره من الأسرى، آملا في تحريك عواطف سيف الدولة فيقول.

وما أنا إلا بين أمر وضده يجد دولي. في كل يوم مجدد

فمن حسن صبر بالسلامة واعدي ومن ربي دهر بالردي، متوعدي

أقلب طرفي بين خل مكبل وبين صفي بالحديد مصفد

دعوتك والأبواب ترنج دوننا فكن خير مدعو، وأكرم منجد

فتملك من يدعى لكل عظيمة ومثلي من يفدى بكل مسود

أناديك لا أني أخاف من الدى ولا أرتجي تأخير يوم إلى غد

ولكن ألفت الموت من دار غربة بأيدي النصارى الغلف ميتة أكد.[1]

فالشاعر هنا يطلق نداء الاستغاثة لإنقاذه وإنقاذ اخوانه الأسرى، ويرى أن قضيتهم خطيرة ولا أحد سوى سيف الدولة مؤهل للبث فيها، ويوضح المعاناة النفسية التي يعاني منها الأسير.

[1]– ديوان أبي فراس– شرح خليل الدويهي، ص 96– 97.

يمضي الشاعر تعزيه أمه، موضحا لها أن الأسر فيه شرف له ولها، فهو محارب، وأيامه بين حروف، ويظهر لها في الوقت نفسه تصبره على الأسر، واحتماله للصعاب: فيقول:

يا أمنا هذه منازلنا نتركها تارة وننزلها

يا أمنا هذه مواردنا نغلها تارة وننهاها

أسلمنا قومنا إلى نوب أسيرها في القلوب أقتلها.[1]

من موضوعات شعر السجن عند أبي فراس الحمداني أيضا الفخر فلقد لجأ إليه الشاعر في التعبير عما يدور في نفسه وهو أسير فنجد الشاعر يفتخر بنفسه، وما اشتملت عليه من جوانب العظمة والتفوق فالشاعر نجده يفتخر بقوته، ويصبره أيضا على ما أصابه فيقول:

قناتي، على ما تعلمان شديدة وعودي على ما تعلمان، صليب

صور على طي الزمان ونشره وإن ظهرت للدهر في نذوب

وإن فتى لم يكسر الأسر قلبه وخوض المنايا جده لنجيب.[2]

ومن أهداف فخره، الدفاع عن شجاعته وبطولته، فهو يؤكد لنا أن أسره لم يكن ناجما عن ضعفه، فيرى الأسر شهادة له، بالشجاعة والأقدام، فهو رفض القرار واستقبل الموت، ولا يرى الشاعر في الموت غضاضة ما دام قد خلف، من الذكر الحسن ما يخلده على مر العصور فيقول:

أسرت وما صحبي بعزل، لدى الوغى ولا فرسي مهر ولا ربه غمر

ولكن إذا حم القضاء على امرئ فليس له برد يقيه ولا بحر

وقال أصحابي: الفرار أو الردى فقلت: هما أمران، أحلاهما مر

[1]– ديوان ابن فراس ص 263 شرح خليل الدويهي.

[2]– المصدر نفسه – ص 38–39.

ولكنني أمضي لما لا يعيبني وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

يقولون لي: بعث السلامة بالردى فقلت: أما والله ما نالني خسر

هو الموت فاختر ما عاد لك ذكره فلم يمت الإنسان ما حيى الذكر.[1]

هكذا بين الشاعر أنه لم يقصر بواجب ألقي على ما تقه فهو بذلك لا يجد شيئا يشين إلى اسمه، فهو يفتخر باسمه.

ويفتخر الشاعر في مواطن أخرى بفضائله النفسية، وأخلاقه الحميدة ومن ذلك قوله:

ستذكر أيامي تمير وعامر وكعب على علاتها وكلاب

أنا الجار لا زادي بطيء عليهم ولا دون مالي للحوادث باب

ولا أطلب العوراء منهم أصيبها ولا عورتي للطالبين تصاب

وأسطو، وحين تابت في صدورهم وأحلم عن جهالهم وأهب.[2]

وكان فخر أبي فراس، يهدف إلى تشجيع سيف الدولة على فدائه، مذكرا إياه أن " هذا الفداء لن يعود نفعه على الأسير فحسب، ولكن فائدته ستعود عليهم، فليس من السهل أن يجدوا فتى مثله يدافع عن أحسابهم بلسانه، ويطاعن بمنهم بحسامه"[3] وفي هذا يقول أبي فراس:

متى تخلف الأيامُ، مثلي، لكم فتى طويلَ نجاد السيف رحب المقلدِ

متى تلد الأيام، مثلي لكم فتى شديداً على البأساء، غير ملهَّد

فإن تفتدون تفتدوا شرف العلا وأسرع عوادِ إليها، معوَّد

وإن تفتدوني تفتدوا لعلاكم فتى غير مردود اللسان أواليدِ

[1]– بدوي: شاعر بني حمدان ص 69.

[2]– ديوان أبي فراس، ص 46 شرح خليل الدويهي.

[3]– بدوي – أحمد أحمد – شاعر بني حمدان ص 71.

يُطاعن عن أعراضهم، بلسانه ويضرب عنكم، بالجسام المهنِد

وما كل وقّافٍ، له مثلُ موقفي وما كل ورّادٍ له مثلُ موردي.[1]

فالشاعر هنا يفتخر بالمدافع البطل المقداد الذي لا يخاف الموت سواء بلسانه أو بحسامه ويعتبر نفسه فخرا أقومه.

ونجد الشاعر يفتخر بنفسه يقول:

وإني لِجرّارٌ لكلِّ كتيبة مُعَوَّدةٍ ألا يُخِلَّ بها النصرُ

وإني لَنزال بكل مَخوفَةٍ كثِير إلى نُزَالها النظرُ الشزرُ

فأظمأ حتى ترتوي البيض والقنا وأسغبُ حتى يشبعَ الذئب والنسْرُ.[2]

فذكر الماضي يدفعه إلى الفخر بنفسه وذكر بلائه الحسن.

إن إحساس الشاعر السجين بالغربة من سمات شعر السجون أيضا سواء أكانت هذه الغربة زمانية أو مكانية، فهي تصب في معاناة الشاعر السجين حيث نرى أن أبي فراس الحمداني أكثر الشعراء شكوى من الدهر، فدهرياته كانت صادقة، على مدى طول التجربة التي مر بها، على امتداد فترة سحبه في بلاد الروم [3]، فهو في دهرياته لا يذهب مذهب غيره من الشعراء في ذم الدهر ولعنـــه بل نراه صادق الإيمان عميق العقيدة، وإنما يشكو مصائبه في صورة الدهر، ونراه يشكو وقعه هذا الدهر عليه إلى سيف الدولة ويتبرم من حال السجن، ويناشد سيف الدولة الإسراع في فدائه يقول:

أقلني أقلني عثره الدهر إنه رماني بسهم صائب النصل مقصد

ولو لم تنل نفسي ولاءك لم أكن لأوردها في نصرة كل مورد

[1]– ديوان أبي فراس. ص 98 شرح ذليل الدويهي.

[2]– المصدر نفسه ص 164.

[3]– بدوي طبانة – فنون الشعر عند الحمدانيين – ط2– منشورات دار الرفاعي – الرياض– 1404ه ص 371.

ولا كنت ألقى الألف زرقا عيونها سيحين فيهم كل أشام أنكر

يقولون وجنب عادة ما عرفتها شديد له في الانسان ما لم يعد

فقلت أما والله لا قال قائل شهدت له في الحرب الأم مشهد

ولكن سألقاها فاما منية هي الظن أو بنيان عز موطد

ولم أدر أن الدهر في عدد العدا وأن المنايا السود يرمين عن كو.[1]

إن بطولته وشجاعته تأبيان عليه أن يستسلم، وأن يقال عنه في يوم أنه جبان ففضل الموت على النجاة التي تحمل في طياتها العار فالدهر هو الذي رمي به في لجة الخر، وبذلك قد شارك الأعداد وانضم إليهم ضده.

ثم يتعمق الشاعر أكثر في شكوى الدهر، فنتيجة إلى النجوم بحدتها ونيتها ما به من الحيرة والقلق فيقول:

ما لنجوم السماء حائرة أحالها في بروجها مثل حالي

أبيت حتى الصباح أرقبها مهتديات في حال ملال

أما نراها علي عاطفة تكاد من رقة تتكي لي؟.[2]

عندما يحار الانسان يبدو له كل شيء أمامه مثل حاله في الأخيرة، ولحيرة أبي فراس احتارت نجوم السماء وهذا دليل على تبرمه من تدهور ومن قساوته.

لقد جاء الشاعر في شكواه لليل والنجوم _ فهو لم يجد من يفهمه ويعطف عليه ويواسيه في محنته من البشر، فاتجه إلى الضيعة لعله يجد عندها الصدر الحنون والسمير فتكون له ملاذا يقول كذلك بذم الدهر ويشكوه:

لقيت من الأيام كل عجيبة وقابلني دهري بوجه قطوب

ولم ينقص مني تشعب حادث ولا كرهت نفسي لقاء شعوب

[1]– ديوان أبي فراس الحمداني– شرح خليل الدويهي – ط1– دار الكتاب العربي– 1412ه– 1991م، بيروت ص 98.

[2]– المصدر نفسه – ص 275.

تحملت خوف العار أعظم خطه وأمثلت نصرا كان غير قريبي.[1]

تحمل هذه الأبيات كل الكراهية للدهر الذي خانه _ فنراه يحمل وزر هذا الاسم فنرى الأبيات تتبع من أعماق نفسه المليئة بالكراهية للواقع المزري الذي يعتبه في السجن ستار من الحزب يوضح حالته النفسية المرهفة التي يعاتبها.

ومن القصائد الشاكية التي نظمها أبو فراس، تلك القصيدة التي أرسلها إلى والدته يعزيها، فقال:

مصابي جليل، والعزاء جميل وظني بأن الله سوف يديل

جراح وأسر، واشتياق، وغربة أحمل أني بعدها لحمول

وأني في الصباح لصالح ولكن خطبي في الظلام جليل

وما نال من الأسر تريانه ولكنني دامي الجراح عليل

جراح تحاماها الأساة مخوفة وسقمان: باد منها ودخيل

وأسرا قاسية، وليل نجومه أرى كل شيء، غيرهن يزول

تطول بي الساعات وهي قصيرة وفي كل دهر، لا سيرك طول[2]

يوضح الشاعر في هذه الأبيات، دواعي حزنه، ويرى أنه يتحمل من المعاناة مالا قبل له به، ومن تلك المصائب، معاناته من المرض ومعاناته من الوحدة وظلام الليل، فهو يقضي ليله يتأمل في النجوم التي يراها لا تبرح مكانها، ويتحدث عن ظاهرة تصيب الأسير، إلا وهي طول ليل السجن.

[1]– ديوان ابن فراس، شرح خليل الدويهي، ص 45.

[2]– المصدر نفسه، ص 46.

ومن رهافة حس أبي فراس الحمداني، خطابه الموجودات الطبيعة، باثا إليها شكواه علة يجد في ذلك العزاء والسلوان، وحدث أن سمع الشاعر حمامة توح على شجرة عالية فقال:

أقول وقد ناحت بقربي حمامة يا جارتا، هل بات حلك حالي؟

معاذ الهوى إما ذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببال

أتحمل محزون الفؤاد قوادم على غصين نائي المسافة عيال؟

إنه لمن الغريب أن تشعر هذه الحمامة بالحزن، مع أنها تتمتع بحريتها في الحركة والطيران ويقارن الشاعر بين حاله وحالها فيقول:

يا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي

تعالي تري روحا لدي ضعيفة تردد في جسيم يعذب بال

يضحك مسرور وتبكي طليقة ويسكت مخزون ويندب سال؟

لقد كنت أولى منك بالمدح مقلة ولكن دمعي في الحوارث عال.[1]

نجد الشكوى عند أبي فراس الحمداني بكثرة في موضوعات الشعر عنده فهو يشكو في كثير من الأبيات واختلف موضوع شكواه باختلاف المواقف عنده كما نال موضوع الرثاء والتعزية الحظ الوافر في أشعار أبي فراس خلال أسره، فبالرغم من البعد المكاني الذي كان يفصل أبي فراس عن أهله ووطنه إلا أن تقاربا روحيا كان يربطه بذلك، فلم يكن في الأسر سوى الجسد، أما الروح، فكانت هناك عند الأهل والوطن وقد عبر الشاعر عن ذلك بقوله:

إن في الأسر لصبا دمعه في الخد صب

هو في الروم مقيم وله في الشام قلب

مسجد لم يصادف عوضا عمن يجب.[1]

[1]– ديوان أبي فراس ص 282 شرح خليل الدويهي.

وكان من أعز الأحباب على قلبه أمه، فقد ارتبط بها ارتباطا وثيقا، فقد كان يشكو لشكواها ويحزن لحزنها، وكانت الأم، وكذلك أبا فراس يأمل بالفرج القريب ولكن المنية عاجلتها، فماتت قبل لقاء فلذة كبدها وفي ذلك يرثيها أبا فراس يقول:

أيا أم الأسير، سقاك غيث بكره منك ما لقي الأسير

أيا أم الأسير، سقاك غيث تحير، لا يقيم ولا يسير

أيا أم الأسير، سقاك غيث إلى من بالفدا يأتي البشير؟

أيا أم الأسير لمن ترى وقدمت الذوائب والشعور

إذا أنبل مسار في يرو بحر فمن يدعو له، أو يستجير؟[2]

تبدو معنويات الشاعر عالية في كثير من أبيات القصائد لديه، وكان السبب في ذلك أمله بقرب الخلاص، لكن سرعان ما يبدأ بالبكاء لما طالت به المصيبة، فمن شكواه وهو في الأسر، وغدر الناس به: يقول:

يا ليل، ما أعقل، عما بي حبائبي فيك وأحبائي

يا ليل قام الناس عن موضع ناء على مضجعه نابي

هبت له الريح شامية متت إلى القلب بأسباب

أتت رسالات لنا فهمتها من بين أصحابي.[3]

وكذلك نجد الشاعر يشكو من مرضه يقول:

ولا تصفن الحرب عندي فإنها طعامي من بعت الصبا، وشرابي

وقد عرفت وقع المسامير مهجتي وشقق عن زرق النضول إهابي

---

[1]– ديوان إبن فراس، شرح خليل الدويهي، ص 48.

[2]– المصدر نفسه ص 61.

[3]– المصدر نفسه، ص 57.

ولججت في حلو الزمان ومره وأنفقت من عمري تعبير حساب. [1]في هذه الأبيات يشكو الشاعر من آلامه الجسدية الناتجة عن الجراح إلا أنه في مواطن أخرى نجده يشكو من الآلام النفسية الناتجة عن الكلام الشامتين والعذال يقول:

تكاثر لومي على ما أصابني كان لم تنب إلا بأسرى النوائب

يقولون: لم ينظر عواقب أمره ومثلى من تجري عليه العواقب

ألم يعلم الذلان أن بني الوغى كذلك سليب بالرماح، وسالب

أرى ملىء عيني الردى فأخوضه إذ الموت قدامي وخلقي المعايب

وإن وراء الخرم فيها ودونها مواقف تنسى دونهن التجارب[2]

رجال يذيعون العيوب، وعندنا أمور لهم مخزونة ومعايب

ومضطغن لم يحمل السر قلبه تلفت، ثم اغتابني وهو هائب

تردى رداء الذل لما لقيته كما تتردى بالغبار العناكب.

ومن رثاء أبي فراس الحمداني أيضا قوله:

يا مفردا، بات يبكي لا معين له أعانك الله بالتسليم والجلد

هذا الأسير المبقى لا فداء له يفديك بالنفس والأهلين والولد.[3]

ومن مواضيع شعر السجن عند أبو فراس الحمداني أيضا الحنين فكونه أسيرا في أرض الروم، ثارت في قلبه عواطف صادقة إلى أهله وقومه، حيث كان محروما من مشاهدة أهله وذويه ومما أضرم هذه العاطفة عنده، وحشة الغربة، ورهبة العزلة، وظلام السجن ولقد كانت رومياته صورة ومرآة عكست همومه وأحزانه وتذكرة لقومه وشوقه إليهم فعبر أبو فراس عن حنينه إلى الأحباب وشوقه إلى الأوطان، فمن شوقه قوله:

---

[1]– ديوان أبي فراس، شرح خليل الدويهي، ص 51– 52.

[2]– المصدر نفسه – ص 40–41.

[3]– المصدر نفسه، ص 111.

تشوقني الأهل الكرام وأوحشت مواكب بعدي عندهم ومجالس [1]

يبدوا الشاعر في حنينه أحيانا مشتاقا إلى الأحباب جميعا، فهو أحيانا لا يدري فيمن يفكر ولا عمن يتكلم فهو يقول:

لأيكم أذكر؟ وفيكم أفكر

وكم لي عل بلدتي بكاء ومستعبر [2]

ثم يأخذ في تفصيل أولئك الأحباب واشتياقه لهم يقول:

ففي حلب عدتي وعزي والمفخر

وفي منج من رضا ه أنفس ما أدخر

ومن حبه زلفة بها يكرم المحشر. [3]

ومن شوقه أيضا لأحبابه نجده يذرف الدموع عل فراقهم، يقول:

يخيل لي أمرهم كأنهم حضر

فحزني لا ينقضي ودمعي ما يفتقر

وما هذه ادمعي ولا ذا الذي أضمر

ولكن أداري الدموع وأستر ما أستر

مخافة قول الوشا ة: مثلك لا يصبر [4]

ومن حنينه أيضا قوله:

مغرم، مؤلم، جريح، أسير غن فلبا يطيق ذا الصبور

---

[1]– ديوان أبي فراس، شرح – خليل الدويهي، ص 198.

[2]– المصدر نفسه، ص 166.

[3]– المصدر نفسه، ص 166.

[4]– المصدر نفسه، ص 166.

وكثير من الرجال حديد وكثير من القلوب صخور

قل لمن حل بالشام طليقا بأبي قلبك الطليق الأسير

أنا أصبحت لا أطيق حركا فكيف أصبحت أنت يا منصور.[1]

مكتب أبو فراس في الأسر، أربع سنوات وقد دفعه الشعور بالمعاناة إلى التأمل في واقع الحياة وطيحة الناس، فخرج بأحكام عكست نفسيته المعذبة، وتمثلت تأملات الشاعر في الحقائق التي عبر عنها بصورة شعرية ومن تلك الحقائق: أن الحذر لا يبقي من القدر، ويهدف أبو فراس من وراء ذلك إلى تقرير حقيقة مفادها أن الأسر لم يكن ناتجا عن ضعف بل هو قضاء الله وقدره وذلك في قوله:

وهل يدفع الإنسان ما هو واقع؟ وهل يعلم الإنسان ما هو كاسب

وهل لقضاء الله في الخلق غالب وهل لقضاء الخلق هارب

على طلاب العز من مستقره ولا ذنب لي إن حاربتني المطالب.[2]

من الواضح أن الشاعر وفق في الدفاع عن موقفه، فالوقوع في الأسر، لا يعني ضعف، ولا ينج من تهوره، ورد ذلك إلى القدر الذي لا مجال للهروب منه والقضاء الذي لا اعتراض عليه.

والحقيقة الثانية التي عبر عنها شهرا هي حقيقة التوكل على الله وتعني بذل ما في الوسع وترك النتائج إلى الله، إذ لا شك أن أبا فراس كان له الطموح في السيادة والقيادة وقد فاته هذا الأمل أو أغلبه المواقع سيرا عند الروم، وللدفاع عن موقفه وأنه لم يخسر بعد قال:

فما كل من شاء المعالي ينالها ولا كل ستار المجد يهتدي.[3]

[1]– ديوان أبي فراس، شرح – خليل الدويهي، ص 167.

[2]– المصدر نفسه ص 41.

[3]– ديوان أبي فراس، شرح خليل الدويهي، ص 98.

وإسنادا إلى هذا البيت فإن وقوع أبي فراس في الأسر لا يتعارض مع بطولته، بل دليل على تلك البطولة، فالبطولة الحقة هي خوض التجربة بغض النظر عن النتائج.

ومن تلك الحقائق أيضا، أن الله لا غالب لأمره، وفي ذلك يقول أبو فراس،

أسرت وما صاحبي بعزل، لدى الوغى ولا فريسي مهر، ولا به غمر

ولكن إذا حم القضاء على امرئ فليس له بريقه ولا بحر.[1]

ومن تلك الحقائق: أنه لا شماتة في الموت مادام كل مخلوق منتهيا إليه يقول:

بنو الدنيا إذا ماتوا سواء ولو عمر المعمر ألف عام.[2]

ومن الحقائق أيضا أن التوفيق من عند الله وفي ذلك قوله:

ومن لم يوق الله فهو ممزق ومن لم يعز الله فهو ذليل

ومن لم يرده الله في الأمر كله فليس لمخلوق إليه سبيل

وإن هو لم يدللك في كل مسلك ضللت ولو أن السماك دليل

إذا ما وقاك الله أمرا تخافه فمالك مما تتقيه مقيل

وإن هو لم ينصرك لم تلق ناصرا وإن حل أنصار وعز قبيل.

لقد شعر أبو فراس الحمداني أن الأيام لم تلد مثله فتى شديدا على البأس والمصاعب، فتى غير مردود اللسان، ولا اليد، يطاعن ويحارب ليدفع عن أحساب قومه العدو بلسانه وسيفه، ومن أهم الصفات الأخلاقية التي أرادها له ولغيره التواضع، لأن التكبر لا يحمل الإنسان ولا يرفع من شأنه، ولا يجعله عظيما، يريد أبو فراس أن يقول للإنسان أن اتضع ولا تكن متكبرا ولا متعجرفا ولا متغطرسا.... يقول الشاعر:

[1]– المصدر نفسه ص 165.

[2]– المصدر نفسه ص 319.

فإن جل هذا الأمر فالله فوقه وإن عظم المطلوب فالله أعظم.[1]

والله قادر على كل شيىء هكذا تعلمنا، وخذ ما يعرفه كل إنسان مؤمن، إنه القادر على جمع ما تفرق ولم الشمل، ووصل ما انقطع بين الناس:

والله يجمعنا بعز دائم وسلامة موصولة ببقاء.[2]

والله وحده القادر على شفاء الإنسان مما أصابه معنويا أو حسيا، فلا الطبيب قادر على أن يشفي ولا الدواء، بل الله تعالى هو الذي يشفي، وهو الملجأ الوحيد، هذا ما يعرفه ويعلمه كل إنسان وأبو فراس واحد من الناس:

أنا إن عللت نفسي بطبيب أو دواء

عالم أن ليس إلا بيد الله شفائي.[3]

وكان لا يرى عند الناس ما يريد تحقيقه، أو ما يعنيه في تحقيقه، لأنه رأى ابتعاد الناس عنه، ومحاولتهم الحط من شأنه ولا سيما عند ابن عمه.

وما الأمر إلا في يد الله كله

فما شاء من أمر فمن ذا يغالبه؟[4]

فأبو فراس يرى بأنه كل شيىء بيد الله وقدرته وعظمته.

وهناك ثلاثة أبيات قالها شاعرنا أبو فراس الحمداني تؤيد ما ذهبنا إليه بقول:

يا معجبا بنجومه لا النحس منك ولا السعادة

الله ينقص ما شا ء ومن يد الله الزيادة

دع ما أريد وما تر د فإن لله الإرادة[1]

---

[1]– أبي فراس الحمداني، شوقي المعري، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، سنة 2013م، د ط، ص 29.

[2]– المصدر نفسه، ص

[3]– المصدر نفسه، ص

[4]– المصدر نفسه، ص 30.

وهذا ما طلبه عندما شعر بخذلان ابن عمه إياه وهو في السجن، إن أبا فراس يخضع لعدل الله وأمره وقدرته فلا أحد يمكن أن يعينه ويساعده على مصائبه وهو الذي وصف حاله التي وصل إليها، لكنه لم ييئس:

مصابي جليل والعزاء جميل وظني بأن الله سوف يديل.[2]

ولم يكن أبو فراس يجد من ينصره على من يشاء وينصر كل من يطلب منه أن يكون له نصير المعتدي ولا نصير المؤذي، والله إذا ما ناصر أحدا فإنه يحقق له النصر وإن تكاثرت عليه الناس من كل جهة، ومن كل حد وصوب:

تناصرت الأحياء من كل وجهة

وليس له إلا من الله ناصر.[3]

أما رحمة الله فهي واسعة تسع كل البشر وكل الناس وكل مؤمن به، لذلك ترنا نبحث عن رحمته في كل أمر ينوبنا أو يصيبنا، وأبو فراس يسأله حسن الختام فإن رحمة الله أولا وأخيرا هي الملاذ لنا جميعا:

وأسأله حسن الختام، فإنني

لرحمته في البدء والختم طالب.[4]

ورحمة الله تتمثل للإنسان في كل زمان ومكان، فهو لا يثقل عل الإنسان، ولا يكرهه على شيىء، بل إنه لا يحمل فوق طاقته، ليستطيع تجاوز ما يقع فيه من أحداث وآلام، وقد استعار الشاعر أبو فراس آية من القرآن الكريم وضمنها في شعره فقال:

لا أحمل الهجر منه والغرام به

ما كلف الله نفسا فوق ما تسع.[1]

---

[1]– أبي فراس الحمداني، شوقي المعري، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، سنة 2013م، د ط، ص 30.

[2]– المصدر نفسه، ص 30.

[3]– المصدر نفسه، ص 31.

[4]– المصدر نفسه، ص 31.

والله عليم بكل شيىء، ويعرف كل شيىء، وهو أكبر من كل شيىء ولا أحد ينكر هذا فلذلك يطلب منه دائما العون والمساعدة وقد أكثر أبو فراس الحمداني من الإشارة إلى هذا في شعره كعبارة << يعلم الله وحده >>.

إنه لا يريد من الإنسان أن يصدق ما حل به ولا يشعر به ويتألم، لأن بني البشر لا يصدقون ولا يعبئون بحال الآخرين ولا يهتمون، وهذا ما شعر به أبو فراس من الناس الذين كانوا حوله يحسدونه على ما كان يريد الوصول إليه يقول:

الله يعلم ما لقي ـــت من الهوى وكفى بعلمه.[2]

والله قوي عظيم يقوي الإنسان المؤمن به وكذلك الإنسان الذي يلتجئ إليه طالبا منه القوة والمنعة ليقف في وجه المعتدين، ويرى شاعرنا أبو فراس أن الله إذا لم يحرز الإنسان ويحميه فإن أي سلاح لا يقدر على أن يحميه ويبعد عنه الشر، يقول:

إذا الله لم يحرزك مما تخافه

فلا الدرع مناع ولا السيف قاضب.[3]

يرى أبو فراس أن الله هو القادر على كل شيىء وهو الذي يحمي الإنسان ويحرزه لقد حلت المصائب بأبي فراس من كل جهة لكنه لم يكن يقنط ولم يكن يخاف من نتائجها، بل إن هذه المصائب ستبعد عنه ولن تصيبه واحدة منها:

وكنت إذا جعلت اللـ ـه لي سترا من النوب

رمتني كل حادثة وطارقة فلم تصب.[4]

ولكن إذا كان الالتجاء إلى غير الله فإن المصائب والرزايا ستحلق بالإنسان وتصيبه وتحل به.

---

[1]– أبي فراس الحمداني، شوقي المعري، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، سنة 2013م، د ط، ص 32.

[2]- المصدر نفسه، ص 32.

[3]- المصدر نفسه، ص 33.

[4]- المصدر نفسه، ص 33.

إننا نشعر أن أبا فراس في سجنه كان يبحث عن الخلاص والنجاة بكل وسائل، صرة بالتوسل إلى ابن عمه، ومرة بالشكوى إلى كل من يراه لكن ابن عمه لم يسعفه، ولم يرأف بحاله وهو القادر على هذا، لكن الشاعر لما أيقن أن لا مفر من السجن وأن الموت عنده صار أفضل من إقامته في السجن ذليلا، التجأ إلى الله تعالى فقال:

قد عذب الموت بأفواهنا

والموت خير من مقام الذليل

إنا إلى الله لما نابنا

وفي سبيل الله خير السبيل.[1]

وكان أبو فراس يشكو إلى الله تعالى بعد أن شكى لقريبه وصديقه لكن ما من مجيب وكان كثيرا ما يبدأ بيتا من الشعر فيقول: **إلى الله أشكو (....)**.

إنه يشكو إلى الله ما رآه من أحوال الناس والدنيا، التي تبدلت، وصار يحكمها أشخاص قليلو الشأن لا قيمة لهم، فماذا يفعل بهذه الحال التي حول له ولا قوة إلا الشكوى إلى الله عساه ينقذه من الشر الذي سيلحق الناس إذا حكمهم صغير، ويكرر مثل هذا التركيب كثيرا:

إلى الله أشكو ما أرى من عشيرة.[2]

ونراه كحال كثيرين من الناس الذين شكوا حال قبيلته أو عشيرته لأنه يرى أن القريب إذا ما أساء أو أخطأ كان أشد وقعا على النفس والقلب ويكرر مرة أخرى شاكيا فرقة الصديق:

إلى الله أشكو من فراقك لوعة طويت لها بين الضلوع على الجمر.[3]

[1]– أبي فراس الحمداني، شوقي المعري، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، سنة 2013م، د ط، ص 34.

[2]– المصدر نفسه، ص 34.

[3]– المصدر نفسه، ص 35.

إن حكمة أبي فراس الحمداني توزعت في ديوانه، كانت تجربة حياته الشخصية ما قاله:

وإن البقا لله في كل مظلب وغن الفنا للخلق ذاهب.[1]

إنها الحكمة العظيمة التي يعرفها كل إنسان على وجه الكون فهو الباقي الحي، أما الخلق فإلى الفناء.

ويبدو أن شاعرنا لم يكن يجد العدل بين الناس، وكثيرون أرادوا أن يقللوا من شأنه ومنزلته لكنه لم يهتم، لأنه يرى أن قمنا الله هو الغالب:

وهل لقضاء الله في الناس غلب وهل من قضاء الله الله في الناس هارب.[2]

إنه يسأل سؤالا يتضمن معنى النفي يريد أن يقول لا غالب لقضاء الله ولا مهرب من قضائه.

واعترف أبي فراس بفضل الله عليه، غنه يرى أن الله يزيد في خلقه ما يشاء في كل وقت يحتاج إليه الإنسان، يقول:

كذلك الله كل وقت يزيد في الخلق ما يشاء.[3]

لذلك ترى الإنسان يرجو العطاء منه، ومن غيره الغني؟

إن نعمه تجلل الإنسان وتمنحه القوة ولا تزول ما دامت من الله:

عسى الله أن يأتي بخير فإن لي عوايد من نعماه غير بوائد.[4]

وأبي فراس كغيره من الناس إنه يرجو الله دائما أن يحقق له أهدافه ويمنحه ما يريد ويطلب، ويرجوه أن يأتيه بالخير، لأن عميم ووافر ما يمنحه الله للإنسان فإنه لا ينتهي ولا يبيد.

---

[1]– أبي فراس الحمداني، شوقي المعري، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، سنة 2013م، د ط، ص 35.

[2]– المصدر نفسه، ص 35.

[3]– المصدر نفسه، ص 36.

[4]– المصدر نفسه، ص 36.

ومن الأخلاق الحميدة التي كان يتحلى بها شاعرنا أبي فراس الحمداني الصلاح والحسنة في أعماله كي تكون قويمة صالحة، بعيدة عن الخطأ كي لا يتعثر فيقع.

لعل الله يعقبني صلاحا قويما أو يقبلني العشار.[1]

والصبر من الخلق الذي يعين الإنسان وهذا ما قرأناه في شعر أبي فراس الحمداني عندما كان سجينا وتأخر ابن عمه سيف الدولة عن افتدائه يقول:

صبرا لعل الله يف تح هذه فتحا يسيرا

إن إيمان أبي فراس الحمداني جعله يحمد الله على كل ما يحل به ويصيبه، سوءا كان أم سرورا، يقول بعد أن رأى أن أحد أصحابه أساء إليه، وصار كالداء الذي لا يبرأ ولا يشفى:

أحمد الله على ما سر من أمري وساء.[2]

ونراه يكرر كثيرا عبارة << والحمد لله >> في شعره، مثل قوله:

ولكنني، والحمد لله حازم.

وقوله:

الحمد لله حمدا دائما أبدا أعطاني الدهر ما لم يعطه أحدا.[3]

إنه يحمد الله على الفضائل التي منحه إياها، بل إنه لا يرى هذا من فضل الله عليه لذلك يشكره ويحمده.

لقد كان أبي فراس كغيره من الناس يدعو الله تعالى في كثير من المواقف لأنه الوحيد الذي يستجيب لدعاء الإنسان، ولقد أكثر من الدعاء له، فهو دعا أن لا يقطع نسل العرب، ودعا أن يرعى الإنسان الوفي، القادر، الثائر عل عدوه وهو بقصد من هذا الدعاء النصر.

---

[1]– أبي فراس الحمداني، شوقي المعري، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، سنة 2013م، د ط ، ص 37.

[2]– المصدر نفسه، ص 37

[3]– المصدر نفسه، ص 37.

والدعاء يكون بالخير لمن يحب، وكثيرا ما دعا الشعراء القدماء بالسقا الأرض الموصل فقال:

سَقَى الله أَرْضَ المَوْصِلِ المَزَن أَنَّها لَمِن حَلِّهَا فُرِضَ لَهُ الحُبَّ وَاجِب.[1]

ويدعو الله أيضا ألا يذيقه فقدان الأخ لأنه في زمن لم يعد يلقى الأخ أو الصديق أو المخلص.

ويدعو الله أن يكون لطيفا على قلب الإنسان في حبه وعشقه وفي كل عمل يقوم به.

[1]– أبي فراس الحمداني، شوقي المعري، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، سنة 2013م، د ط ، ص 38.

خاتمة

خاتمة

بعد دراسة تجربة السجن في شعر ابي فراس الحمداني ، أمكننا أن نضع أيدينا على بعض الملاحظات :

أن أبا فراس الحمداني فارس بني حمدان و شاعرهم ، كما له دور بارز في الدفاع عن أسرته و سيفه و لسانه ، والثابت أن أبا فراس الحمداني كان ينظم الشعر في شؤونه الخاصة . و بعد تعرض الشاعر لأسر الروح حصل تطور نوعي على أغراض الشاعر الشعرية و على أساليبه .

ظهرت موضوعات الشكوى ، الفخر ،الحنين والرثاء وغيرها ، ورغم أن بعض هذه الموضوعات كان الشاعر قد تطرق لها سابقا ،إلا أنه في الأسرأكثر منها حتى غدت سمة بارزة اتسم بها شعره ، و يمكننا القول بأن أبا فراس الشاعر قبل الأسر يختلف عن بعده .

من أبرز الملاحظات في شعر الأمير الحمداني ، التناقض الذي اتسم به شعره في الأسر سواء كان في الشكوى، أم في العتاب لا يمكن التسليم بأن الشاعر لم يكن صادقا في شعره فلو علمنا أن الشاعر كان ينظم الشعر تحت تأثير عاطفتي الحزن و الغضب لعلمنا الشاعر كان صادقا مع نفسه ، فهو يصور في شعره نفسيته وما تتنازعها من تيارات شتى.

قد وظف أبو فراس الحمداني الصورة الفنية في تطرقه لموضوعاته ، من خلال الصور البيانية و غبر البيانية ، كما كان للمحسنات البديعية حضور واسع عنده ، إذ أسهمت هذه المحسنات في تكثيف اللغة الشعرية و تحميلها مضامين تعبيرية مؤثرة، استطاعت أن تجعل من روميات الأسير شعرا يتصف بالخلود على مر العصور .

كان الشعر بالنسبة لشعراء السجون يمثل تعزية النفس عن المصاب الذي حل بهم لدى تناولوا في التعبير عن واقع السجن موضوعات متعددة ، دارت حول تجربة السجن الرهيبة ، وحول واقعهم داخل هذه السجون ، و ما تركه في نفوسهم من آثار سلبية في الغالب .

يدور معظم شعر السجون عند أبي فراس الحمداني في فلك الشكوى والعتاب، أو وصف المأساة التي عانى منها والحديث عن الذكريات مع المقارنة بين الماضي والحاضر، ثم الشوق إلى أرض الوطن والأهل والأحبة.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم

2. المصادر والمراجع

- أبو حاقة، أحمد أبو فراس الحمداني– ط 1– بيروت: دار الشرق الجديد– 1960– الشكة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين.
- أبي الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج 1، دار الفكر، مكتبة الحياة، بيروت 1956.
- أبي فراس الحمداني، شوقي المعري، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب سنة 2013م، د ط.
- بدوي طبانة – فنون الشعر عند الحمدانيين – ط2– منشورات دار الرفاعي – الرياض– 1404ه.
- ديوان أبي فراس الحمداني– شرح خليل الدويهي – ط 1– دار الكتاب العربي– 1412ه– 1991م، بيروت.
- ديوان أبي فراس الحمداني/ فؤاد البستاني، بيروت: دار المشرق، د.ت.
- السجون مزاياها وعيوبها من وجهة نظر الإصلاحية، أبحاث الندوة العلمية الأولى ط2، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، 1984.
- السجون مزاياها وعيوبها، أبحاث الندوة العلمية، ط 2، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريـــب 1984.
- الشاعر الجاهلي عدي بن زايد العبادي تولى المناصب الرفيعة في بلاط الأكاسرة ثم المناذرة، استوزره الملك النعمان، ثم اعتقله وسجنه ثم قتله، توفي سنة 590م– حصاد السجن/ رئيف خوري– المقدم أحمد الصافي النجفي– بيروت: دار العلم الملايين، 1961– ط2– ص 14.
- غريب – جورج: أبو فراس الحمداني دراسة في الشعر والتاريخ – ص 31– ط2– بيروت– دار الثقافة 1971.
- كتاب الأغاني، ج 18/17، أبي الفرج الأصفهاني، دار الفكر، مكتبة الحيـــاة بيروت، 1956.

- لسان العرب– ابن منظور– بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، المجلد 13 مادة سجن – ص 203.
- الوطن في الشعر العربي/ة هيب طنوس، مديرية الكتب والمطبوعات، السنة 1979، ص 27.
- وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج6، دمشق، دار الفكر، 1984، ص 509.

الفهرس

الفهرس الصفحة

مقدمة .....ب.....

الفصل الأول: مفهوم وتطور السجنيات

المبحث الأول: الدلالة اللغوية للفظة السجن .....6.....

1.تعريف السجنيات: الأسر، الحبس، السجن .....6.....

2.لمحة تاريخية عن تطور مفهوم السجن: .....7.....

3.شعر السجون في الأدب العربي القديم: .....10.....

الفصل الثاني: تجليات شعر السجن عند أبي فراس الحمداني

المبحث الأول: موضوعات شعر السجون عند ابي فراس الحمداني 16.....

1.شعر السجن عند أبي فراس الحمداني: .....16.....

خاتمة .....41.....

قائمة المصادر والمراجع

الفهرس